ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Waist Journal for Human Sciences

Journal Homepage: https://wjfh.uowasit.edu.iq/index.php/wjfh/en

Research article

The Circassian minority and their integration into Jordanian society

Asst. Lect. Haifa Ali Abdel Hassan Al-Hussainawi

Dhi Qar Education Directorate, Iraq

ARTICLE INFO

Keywords: Circassians , Jordan , Jerash

***Correspondence author*:**

ahaifa650@gmail.com

Received: **03 June** 2026
Revised: 30 **July** 2026
Accepted: 31 **July** 2026
Published: 01 **November** 2026

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

***Cite*:**

Al-Hussainawi, H. A. A. H. (2026). The Circassian minority and their integration into Jordanian society (1829-1949). Wasit Journal for Human Sciences, 22(4/Pt1). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss4/Pt1.2144

ABSTRACT

The origins of the Circassian minority trace back to the Northwestern Caucasus region in Russia. They endured long and devastating wars with the Russian Empire during the 19th century, which culminated in a massive migration. During the Ottoman era, the Circassians headed towards the Levant (Bilad al-Sham). Today, the Circassians are considered one of the most prominent minorities in Jordan, successfully preserving their unique traditions and customs — such as folk dances, social etiquette, mutual respect, and their national identity.

Simultaneously, they have integrated deeply into Jordanian society, becoming an integral part of its political, military, and social life. They played a powerful role in building the Jordanian state following its foundation, making them a model of coexistence and integration with other components of Jordanian society. Today, the Circassian minority in Jordan is viewed as a community that has achieved a perfect balance: maintaining their historical identity while being fully integrated into the Jordanian fabric.

.

الاقلية الشركسية واندماجها في المجتمع الأردني (1829-1949)

م.م. **هيفاء علي عبد الحسن الحسيناوي**
المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار، العراق

المُستخلص

تعود أصول الأقلية الشركسية إلى شمال غرب منطقة القوقاز في روسيا ، إذ تعرضوا إلى حروب طويله ومدمرة مع الإمبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر ، والتي انتهت بحدوث هجرة كبيرة من قبل الشركس وتوجهوا إلى بلاد الشام خلال العهد العثماني ، وتعد الأقلية الشركسية من أبرز الأقليات في الأردن والتي حافظت على تقاليدها وعاداتها الخاصة مثل الرقصات الشعبية والسلوك الاجتماعي والاحترام المتبادل وهويتهم القومية بها.

وفي الوقت نفسه اندمجت مع المجتمع الأردني بشكل كبير واصبحوا جزء من المجتمع في الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية ، وكانت لهم القوة في بناء الدولة الأردنية بعد التأسيس ، الأمر الذي جعلهم نموذجاً للتعايش والاندماج مع بقية مكونات المجتمع الأردني ، وينظر اليوم إلى الأقلية الشركسية في الأردن بوصفهم استطاعوا تحقيق التوازن مع الحفاظ على هويتهم التاريخية على الرغم من الاندماج في المجتمع الاردني.

الكلمات المفتاحية: الشركس، الأردن، جرش

المقدمة

رغم ان البواعث الرئيسية للهجرة والمنفى على حد سواء تؤدي إلى تأجيج مشاعر الكراهية تجاه الذات أولاً وتجاه البلاد المضيفة ثانياً، لكن الشركس بطبيعتهم المتعايشة مع الآخر جعلت منهم شعباً يحافظ على خصوصيته مع امكانية الاندماج مع المجتمعات المضيفة له والحيازة على ثقتها وديمومة علاقته المرنة معها مع الاشادة بالهوية المركبة والمتعددة المميزة لها. ان الشركس اقتنعوا بمدى ملائمة المقومات المغايرة والاختلاف والتنوع في الحياة البشرية، وهذا ليس غريباً عن اقلية اكتوت بنيران الحروب والتوتر الحاد بين الثقافات والشتات والترحال التي صنعتها من جديد وانعكست عليها ايجابياً وجعلتها تستوطن الشرق متسلحة بالمزاوجة بين ما ورثوه وما هو جديد عليهم. وتكمن أهمية البحث كونه يسلط الضوء على الاقلية الشركسية واندماجهم في المجتمع الاردني. إذ تركزت الدراسة على معرفة اصل الشركس واجناسهم ، وكذلك اللغات التي يتكلمون بها ، ثم الانتقال إلى حربهم مع الروس والتي كانت السبب المباشر في هجرتهم للبحث عن أرض جديدة لهم ، وأيضاً تناولت العلاقات الشركسية – العثمانية وما لها من تأثير على الشراكسة ، واستقرارهم في لواء البلقاء ، وأثر هجرتهم على المدن الاردنية ، وفي مقدمتها قرية الناعور وقرية جرش ، كما تطرق البحث إلى العلاقة بين الشركس والقبائل البدوية الاردنية وما سادها من توتر في بداية الامر ، وانتقالهم فيما بعد إلى امارة شرق الاردن وتمتعهم بامتيازات في عهد ملوك الاردن كالأمير عبدالله والملك طلال ونجله الأكبر الحسين بن طلال.

أصل التسمية، اجناسهم، لغتهم:

اتفق الكثير من الباحثين على إن مصطلح الشراكسة قد جاء من الاسم (خرخت) الذي كان يطلقه اليونانيون في العصور القديمة على شعب الاديغة الذي كان يعيش في شمال غرب القوقاز، لذا فأن الشراكسة اسم مشترك للشعوب التي عاشت على أراضي شمال القوقاز الممتدة من البحر الأسود إلى بحر قزوين، وقد استخدم العرب والاوروبيين والاتراك هذا المصطلح. كما اشتهر القوقاز منذ أقدم العصور بأنه الاقليم الذي يتميز بثرواته المعدنية كالنفط والغاز الطبيعي ، واستخدم لغات عديدة في كلامه ، فعلى الرغم من تعدد هذه اللغات وكثرتها ، فأن الذي يجمع الشراكسة ويربطهم رباط قوي ، هو قيافتهم وملابسهم المميزة ، وكذلك عاداتهم واعرافهم ونظامهم الاجتماعي المتشابه ، واصالتهم وثقافتهم الموغلة في القدم كل هذا اعطاهم الشكل والصفة التي تميزوا بها واختلفوا بها عن كثير من الشعوب ، فالشركس يؤمنون بسمو نظمهم الاجتماعية والثقافية المشتركة بصرف النظر عن اختلاف لغاتهم (ارصوي وقاماجي ، 2006 ، ص. 15–16) ، ويذكر ان تسمية شركس كلمة اطلقها الاجانب في بداية الامر على احدى قبائل شعب الاديغة ، ثم غدت مع الزمن تسمية عامة شملت كل الشعوب التي تستوطن شمال القوقاز ، وقد اختلف في أصل هذه الكلمة ، فمنهم من قال بالأصل اليوناني أو الروماني أو الفارسي أو التتاري (سمكوغ ، 1995 ، ص. 15).

أما أصل الشراكسة فأن علماء الاجناس يقولون: إن الشراكسة من أقدم الشعوب التي استوطنت في هذه المنطقة، واندمجوا في الشعوب الأخرى (العبودي ، 1999 ، ص. 13)، إذ يقصد بالاندماج (دخل وادمج في الشيء أي دخل واستحكم فيه)، ويقال اندمج في الشيء أي (دخل فيه واستقر)، ويقال نصل مندمج أي مدور وشيء مندمج: المداخل كالحبل المحكم الفتل، واعضاء مندمجة ومدمجة أي متسلسلة ومنسجمة ومرتبة ومحكمة. اما اصطلاحاً فهو سيرورة اجتماعية تسمح بدمج الافراد في الجماعة من خلال المعتقدات والقيم المشتركة والعلاقات الاجتماعية المتفاعلة) (ابن منظور، (1999)، ص. 250 ، عادل، (2024)، ص. 9) وقد حافظوا على هويتهم القومية وخصوصيتهم الثقافية رغم اندماج بعض الجماعات بهم من الذين وصلوا إلى بلادهم، وسكنوا معهم فيها، وان كان عددهم قليل (العبودي ، 1999 ، ص. 14). وفي الحقيقة ان العنصر الشركسي يظهر بوضوح تام في اسم الشعب نفسه وفي اسماء ملوكه ... الخ ، ويمكن ان نبين ذلك في بعض الكلمات مثل (حاتكي) وتعني (الحاتيون) وهو اسم عشيرة شركسية حالياً ، و(حاتقو) وتعني (ال حات) وهو أيضاً اسم عشيرة معروفة حالياً ، و(حاتيقوي) وتعني (منطقة ال حاتي) وهو اسم منطقة في البلاد الشركسية واسم القبيلة القاطنة فيها ، و(حاتو) وهو اسم عدة ملوك عند الحيثيين وهو اسم علم شائع حالياً عند الشراكسة ، و(وه شكي) وهو اسم الله عند الحيثيين وعند الشراكسة الاوبيخ وهو بمعنى المطر عند الشراكسة ، كان يطلق قديماً على إله الزوبعة والصاعقة والمطر (سمكوغ ، 1984 ، ص. 29–30). ويتحدث الشركس لغة فريدة تعرف بالاديغة، وهي جزء من اللغات القوقازية، وتتكون اللغة الشركسية من عدة لهجات، بما فيها الغربية والشرقية، مما يعكس التنوع الثقافي واللغوي داخل المجتمع الشركسي، واللهجات الرئيسية تشمل اللهجة القباردية واللهجة الشابسوغية، وتتميز كل منها بخصائص لغوية ونطقية مختلفة (أبو دية ، 2024 ، ص. 21).

يتألف الشعب الشركسي من العديد من القبائل المقسومة بحكم الجغرافية إلى قبائل غربية ، والتي تضم الابخاز والاوبيخ وقبائل الاديغة والتي منها الشابسوغ والابزاخ والبجدوع ، إما القبائل الشرقية فتشمل قبيلة قبرطاي ، ولهجات جميع هذه القبائل متقاربة مفهومة باستثناء لهجة الابخاز ولغة قبيلة الاوبيخ التي انقرضت في النصف الثاني من القرن العشرين ، كما شكل الشراكسة كيانات سياسية ذات تنظيمين مختلفين ، فمثلاً في الوسط وشرق بلاد الشراكسة يحكمون بواسطة الأمراء ، وذلك لوجود تسلسل طبقي متطور لديهم ، يعاونهم النبلاء والشيوخ والقضاة الذي يحكمون استناداً إلى العادات والتقاليد الشركسية المتوارثة ، اما غرب البلاد فقد كانت السلطة على الاغلب بيد رجال الدين وكبار السن ، كما أن بلاد الشراكسة دأبت في القرن التاسع عشر بشكل خاص على إرسال السفراء إلى بريطانيا وفرنسا إلى الباب العالي ، المقر الادارة المركزي للحكومة العثمانية في اسطنبول (البعلبكي ، 1990 ، ص. 181) ، إذ كانت لهم بعثات دبلوماسية واتصالات رسمية مع القياصرة الروس ، وكل هذه العوامل تشير بشكل واضح إلى وجود كيان سياسي مستقل متواجد منذ القدم على أرض محدودة بدقة ومعترف بها من قبل الآخرين (صعب ، 2011 ، ص. 18–19).

دخل الشراكسة الإسلام بفضل الجهود التي بذلها أمراء القرم الذين دعوا إليه ونشروه في انحاء منطقة القوقاز ، كما اسهمت الدولة العثمانية والحركة المريديه في انتشاره بين الأعوام (1830–1850) (صعب ، 2011 ، ص. 16) ، ويقصد بالمريدية لغة تعني التابع أو الطالب الذي ينتسب إلى شيخ من شيوخ التصوف ويلتزم طريقته ، اما اصطلاحاً هي حركة دينية اصلاحية ذات طابع صوفي ، استندت إلى تعاليم النقشبندية ، وكان لها دور بارز في نشر الإسلام وتعزيز التمسك بتعاليمه ، فضلاً عن مقاومة التوسع الروسي في منطقة القوقاز (P. 166–167 , (2009) , Temizkan) ، ولم يلق الإسلام مقاومة تذكر بين الشراكسة ، بل انتشر بسهولة ، وكان أبرز الشخصيات التي كرست جهودها لخدمة الدين الإسلامي الأمير عادل كراي ، إذ استدعى عدداً من علماء المسلمين من القرم وأرسلهم إلى مناطق الشراكسة لتعليمهم أمور دينهم ، كما أسس المدارس والمساجد ، وشجع السكان على التمسك بتعاليم الإسلام (صعب ، 2011 ، ص. 16).

حرب الروس وهجرة الشراكسة :

اقترف الروس بحق الشراكسة مجازر ومعارك دامية ، لأنهم رفضوا الخضوع للحكم القيصري الذي اتسم بالطابع العسكري الاستبدادي ، ولم يراعِ خصوصية اوضاعهم الاقتصادية أو عاداتهم وتقاليدهم ، بما في ذلك نظام القضاء العشائري الشركسي الذي ظل سائداً حتى أواخر القرن التاسع عشر ، وكان احترام الروس لهذه الخصوصية شكلياً في أفضل وعليه فقد الاحوال ، وفي الوقت نفسه ، فرضا السلطات الروسية عقوبات قاسية حتى على المخالفات البسيطة ، مثل سرقة حصان، إذ شملت العقوبات الاقتصاص الجماعي وفرض الغرامات على القرى بأكملها ، واحياناً قصف القرى الشركسية بالمدفعية الثقيلة وإحراقها ، وتسليط القوزاق عليهم (ازوقه ، 2010 ، ص. 5–6) ، وهم جماعات ذات تنظيم عسكري ، ظهرت منذ مطلع القرن السادس عشر على امتداد نهري الدنيبر الاعلى والاسفل والدون ، ضمت في بداياتها افراداً من الفلاحين والهاربين من نظام القنانة ، ثم تطورت تدريجياً إلى طلقة عسكرية تمتعت بامتيازات خاصة ، واعتمدت عليها الدولة الروسية بوصفها

قوة رئيسة في الفرسان وحماية الحدود والمشاركة في الحملات العسكرية ضد شعوب القوقاز ، ويقتلون الشراكسة بحد السيف (المصري ، (1987) ، ص. 160 ، قابلو ، (2006) ، ص. 668).

بدأت حرب فعلية بين روسيا القيصرية وشعوب شمال القوقاز من الشركس والشيشان والداغيستان ، عندما عقدت الدولة العثمانية معاهدة أدرنه مع روسيا عام 1829 ، بعد حرب استمرت لعام وأربعة أشهر و (19) يوماً ، تم الصلح بواسطة بروسيا ، تكونت المعاهدة من (18) مادة ، استولت روسيا بموجبها على مصب نهر الطونة ، واصبح لها الحق في حرية الملاحة في البحر الاسود والخروج منه إلى البحر الأبيض المتوسط ، وكما استولت على مناطق من آسيا ، وفصلوا بذلك بين الدولة الثمانية وبلاد القوقاز ، وتدفع الدولة العثمانية غرامة حربية لروسيا قدرها احد عشر مليوناً ونصف المليون قطعة ذهبية (محمد ، 2019 ، ص. 475-476) ، كما تنازلت بموجبها عن اقليم القوقاز الذي لم يكن أصلاً من أملاكها ، وبذلك استطاعت روسيا الانفراد بالشعوب القوقازية بعد أن حيدت الدولة العثمانية ، فقامت جيوش الروس بناءاً على أمر القيصر الكسندر الثاني (Alexander II) بمحاصره البلاد الشركسية بحراً وسارت جحافلها للاستيلاء عليها بالقوة ليكون احتلالها فعلاً واقعياً بعد أن مهدت الدولة العثمانية لهذا الاحتلال بتنازلها عن حقوقها المزعومة بأراضي الشركس والروس ، مما أدى إلى نشوب حرب أباده حقيقية بين الروس والشركس استمرت عدة سنوات أدت إلى هجرة مليون واربعمائة شركسي من بلادهم في القوقاز في هجرة لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، إذ تركت شمال القوقاز شبه خالية من السكان ، الأمر الذي سهل مهمة الروس في السيطرة عليها نهائياً ، وهكذا انهار الحاجز البشري الذي كان يفصل الروس عن العثمانيين (المفتي ، 1962 ، ص. ص. 87 /169). وتمثلت أبرز اسباب الصراع بين الشراكسة وروسيا القيصرية فيما يأتي : (ازوقه ، 2010 ، ص. 6).

1. سعي روسيا القيصرية التوسع جنوباً على حساب كل من الإمبراطورية العثمانية والصفوية، بما يحقق لها نفوذاً أكبر في المناطق المؤدية إلى الهند، وكذلك يمنحها ورقة ضغط في مواجهة بريطانيا.
2. السعي إلى السيطرة على المنافذ البحرية الدافئة، ولاسيما البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، لما تمثله من أهمية عسكرية واقتصادية في تعزيز مكانة روسيا الاقليمية والدولية.
3. استغلال اصلاحات النظام القيصري الداخلية، ولاسيما بعد الغاء نظام القنانة، إذ اتجهت الحكومة الروسية إلى توطين الاقنان المحررين في الأراضي الزراعية، وكان منطقة القوقاز من أبرز المناطق المستهدفة.
4. تعاظم القوة العسكرية الروسية، وما رافقها من طموح إلى ترسيخ مكانة روسيا بوصفها قوة عظمى قادرة على منافسة الدول الاوربية الكبرى، ولاسيما بريطانيا وفرنسا في مجالي السياسة والاقتصاد.
5. تبني سياسة دينية واستيطانية في القوقاز، تمثلت في السعي إلى تعزيز الوجود المسيحي في المنطقة، واضعاف مقاومة السكان المحليين أو تهجيرهم، تمهيداً لإحلال جماعات موالية للسلطة القيصرية مكانهم، بما يضمن احكام السيطرة على الاقليم.

أدت هذه الأسباب إلى قيام حرب بين الطرفين ، لكن النتيجة الحتمية كانت انتصار القوة الغاشمة على الشجاعة والاقدام ، ففي الفترة ما بين عامي (1861–1862) اخليت الأراضي الواقعة بين نهري لابا وبلا من الشراكسة تماماً ، اما في الفترة ما بين عامي (1862–1863) اتجهت التحركات الروسية إلى حوض نهر بشال ، اي انهم عقدوا النية للهجوم على الشراكسة الإباضة ، لأن هؤلاء الشراكسة الاباظة والاوبيخ والصابصيغ قد حاربوا الروس ، ووقفوا في مواجهتهم في أكثر من عام ، ففي عام 1864 استطاع الروس بعد اجتيازهم سلسلة جبال القوقاز ان يطردوا الشراكسة الصابصيغ ويبعدوهم عن ساحة القتال ، بعد ذلك توجهوا نحو الشراكسة الاوبيخ في حوض نهر ميزيمطة وقاتلوهم قتالاً شرساً (ارصوي وقاماجي ، 2006 ، ص. 113) ، فبدأت بعد ذلك حركة تهجير واسعة من جميع بلاد الشراكسة ، دفعت روسيا خلالها بجموع الشراكسة إلى الغابات والبراري بدون أدنى مراعاة للحالات الفردية والإنسانية من أطفال وشيوخ ، فمن سقط على الطريق تركوه لمصيره ولم يسمحوا لأقربائه حتى بدفنه ، كذلك من رفض النزوح ، جرى تهجيره قسراً إلى المستنقعات أو أحرقت قريته بمن فيها ، وجرى تجميع المهجرين على سواحل البحر الأسود ، إذ مات العديد منهم جوعاً وعطشاً أو ارهاقاً إثناء انتظارهم للسفن التي ستقوم بترحيلهم إلى الدولة العثمانية ، فلما حضرت السفن ، تبين بأنها غير ملائمة لتحميل البشر ، فغرق العديد منها في عرض البحر ، وهناك قبائل فنيت عن بكرة أبيها مثل الاوبيخ ، بينما تناقصت إعداد قبائل أخرى مثل الشابسوغ الذين هاجروا إلى أراضي البلقاء ، فوصل منهم حوالي (250,000) عام 1864 (ازوقه ، 2010 ، ص. 6–7).

العلاقات الشركسية – العثمانية :

بدأ السكان من التذمر من المهاجرين لأنهم يشكلون خطراً عليهم عن طريق الأمراض والأوبئة التي كانوا ينقلونها إلى المناطق التي يحلون بها، وما بين كانون الأول عام 1863 ولغاية اواسط شباط عام 1864 ، إذ توفي نتيجة لتلك الظروف ثلاثة الاف من الشركس والعدد المتبقي من السكان الأصليين. (وثائق الابادة الشركسية، الوثيقتان رقم: 233 ، 252). كما لم يكن الشركس الذين وصلوا إلى طرابزون يتعدون الخمسة والعشرون ألف نسمة، فيما بلغ معدل الوفيات في المدينة ما بين مئة وعشرون إلى مئة وخمسون شخص يومياً، كذلك الحال في سامسون فكان مماثلاً لطرابزون، إذ وصل المدينة اربعون ألف شخص توفي منهم خمسمئة شخص في غضون يومين فقط، علاوة على ذلك تم اغلاق الخبازون لمخابزهم، مما جعل المدينة تعاني من ندرة في توفير الخبز لعدة أيام، الامر الذي فاقم من معاناة المهاجرين بشكل كبير (وثائق الابادة الشركسية، الوثيقة، الوثيقة رقم: 293).

سعى قناصل الدول الأوربية المتواجدون في الموانئ العثمانية التي تستقبل المهاجرين إلى محاولة فرض حجر صحي لمدة (15) يوماً على كل سفينة تصل إلى السواحل العثمانية لحين التأكد من سلامة ركابها، وذلك من أجل الحد من انتقال الأمراض والاوبئة إلى رعايا الدولة العثمانية وباقي المهاجرين، بينما اعتبر الروس ان قرار الحظر قرار سياسي وان الغرض منه هو للحد من الهجرة أو لإيقافها، إذ تمكنوا من ذلك (وثائق الابادة الشركسية، الوثيقتان رقم: 240 ، 244).

كما امرت السلطات المحلية في الولايات بتجهيزهم بملابس عسكرية قديمة ، وذلك من أجل ان تقيهم من البرد كأجراء مؤقت ، إلا ان تلك الملابس لم تكن كافية لتخفيف معاناتهم بعد ان تعذر على الدولة العثمانية من توفير المستلزمات لتلك الاعداد الكبيرة من المهاجرين ، ولك بسبب قلة الاموال التي كانت مخصصة لإيوائهم ، بسبب الازمة المالية التي كانت تعاني منها الدولة العمانية في تلك المدة ، فضلاً عن لك تفشي الفساد المالي والاداري في كافة مؤسساتها ، الامر الذي جعل الكثير من الاموال التي جمعت من التبرعات تذهب لجيوب بعض الفاسدين من اصحاب النفوذ (Kumykov , (2001) , No : 193). وتم اسكان الشركس في مناطق بعيدة عن المدينة وخاصة في الثكنات العسكرية المهجورة، لكيلا يختلطوا بالسكان المحليين وينقلوا العدوى إليهم، لأنهم كانوا بصحة غير جيدة، وكانت الثكنات العسكرية فارغة ورطبة وليس فيها مواقد للتدفئة وكان الطبيب يحضر مرة واحدة في اليوم، اما بعد ان أصبح الجو دافئاً سمح لمن هم في حالة صحية لا بأس بها في التوجه إلى المدينة، وخصصت لهم بعد ذلك منازل في أقرب تجمع سكني (وثائق الابادة الشركسية، الوثيقة رقم: 243).

وبعد مرور عدة أشهر على تلك الحالة السيئة قامت الادارة العثمانية بتوزيع الشركس من سواحل البحر الاسود إلى المناطق الداخلية، وقاموا بنقل المهاجرين من شواطئ البحر الاسود بالعربات والقطارات إلى ميناء سيرانافودا على نهر الدانوب، ومن هناك استعملوا سفن صغيرة تسير في نهر الدانوب وصولاً إلى موانئ اخرى تقع على هذا النهر مثل: تولشا، سيليستر، سومن، ومن هه الموانئ وزع جزء من الشراكسة إلى داخل البلاد مثل صوفيا، سكوبيا ونيش، وسكن القسم الاخر في مناطق مقدونيا ولارسا (عبد الحكيم، (2010)، ص. 291).

وحرصت الإمبراطورية العثمانية في هجرات الشراكسة بعد المنفى ان تكون هجراتهم والاماكن التي يقيمون فيها متوافقة مع اغراضهم السياسية والعسكرية، فقد اقام المهاجرون الشراكسة في جماعات صغيرة اماكن شتى من أراضي الإمبراطورية المترامية الاطراف، والتي كان يعيش عليها شعوب من اديان مختلفة وجذور قومية متعددة كالبلقان والاناضول والجزيرة العربية (ارصوي وقاماجي ، 2006 ، ص. 127). كما إن العلاقات الشركسية بالدولة العثمانية تعود إلى بدايات قيام الدولة العثمانية، وخاصة علاقات القبائل القاطنة على ساحل البحر الأسود كالابخاز والاوبيخ والشابسغ. وقد انتقلت إعداد كبيرة من الشراكسة في هجرة طوعيه وقبل عملية التهجير القسرية إلى الدولة العثمانية لتنخرط في الجيش والبحرية العثمانية واستمر تبوؤهم للمناصب العليا سواء في العاصمة اسطنبول أو في الولايات منذ زمن محمد علي باشا وحتى سقوط الدولة العثمانية في بلاد الشام ، ومن الشخصيات الشركسية التي تبوأت مركز الصدارة العظمى ورئاسة الوزراء في الدولة العثمانية عثمان اوزديمير عام 1584 ، وشركس محمد باشا عام 1624 ، وملك احمد باشا عام 1649 ، وسليمان باشا عام 1712 ، وخسرو باشا عام 1839 ، ومحمود شوكت عام 1916 ، وحسين رؤوف باشا من شراكسة ليبيا ورئيس حكومة أنقرة المناهضة للسلطان والذي استقال عام 1922 بعد إلغاء الخلافة. ومن الولاة محمد شركس باشا والي بغداد عام 1623 ، وما يدل على سطوة وقوة الشراكسة في الدولة هو مساهمتهم الرئيسية في تشكيل حزب تركيا الفتاة عام 1889 برئاسة الشركسي ابراهيم تيمو ، ومن أعضائها ألابخازي الأمير صباح الدين كوزيا وحسين طوسون من قبيلة الاوبيخ ، واشتراكهم في عملية عزل السلطان عبد الحميد الثاني بعدما احتل محمود شوكت الشركسي الاستانه

وقصر يلدز ، وانقسامهم الدموي في نهايات الحرب العالمية الأولى مع استمرار الخلافة أو مناهضتها ، وتم في حرب التحرير بقيادة جاتيم بك وادهم شركس ، والتي قطف ثمارها كمال اتاتورك وعصمت اينونو (صعب ، 2011 ، ص. 40–41).

حاولت الدولة العثمانية الاستفادة من تهجير الشعب الشركسي في المجالين الاقتصادي والعسكري ، سيما وإن سياسة التجنيد القسري التي كانت تنتهجها الدولة العثمانية إزاء مواطنيها أدت إلى اختلال موازين الإنتاج ، فقد كان جنودها يحاصرون القرى لأخذ سكانها إلى التجنيد ، فبدأ القرويين يفرون إلى الجبال مما ترك معظم قراها شبه خالية من سكانها ، فأخذت تفكر بالاستفادة من تهجير الشركس لتعويض النقص في القوى العاملة في مجال الزراعة ، ورفد صفوف الجيش العثماني بمحاربين جدد ، وكما خططت لإسكان الشركس في بلاد البلغار المتاخمة لنهر الدانوب وبلاد البلقان لإحداث أكثرية مسلمة وبناء حاجز بشري قوي يفصل العاصمة اسطنبول عن أوروبا ، ومن هنا بدأت الإمبراطورية العثمانية بالتفكير للاستفادة من ظروف الشعب الشركسي ووضع سياسة إسكان لهم وخاصة في القرن التاسع عشر ، فبدأ مجلس التنظيم للتهجير في 9 أذار عام 1857 بوضع قانون لتهجير الشعب الشركسي ورفعة إلى السلطان العثماني لتصديقه ، إذ نص القانون على أن كل فرد مهجر من القوقازيين يحصل على حقوقه وحريته بعد اخذ ثقة السلطان ، كما نص على الإعفاء من الضرائب التي تؤخذ من الأراضي التي تعطى للمهجرين مقابل أن يخدم الواحد منهم ستة سنوات في الجيش بمنطقة البلقان أو اثني عشر سنة في أي منطقة أخرى ، وكي تحقق الإمبراطورية العثمانية غايات التهجير وعمليات إسكان المهجرين ، أسست في عام 1860 إدارة أطلقت عليها اسم (هيئة الأداة العامة للمهاجرين) (ناشخو، 1995 ، ص. 19–20).

هيأت نهاية الحرب القوقازية الظروف لبدء موجات الهجرة الشركسية، إذ استمرت المواجهات بين الشعوب القوقازية وروسيا القيصرية قرابة سبعين عاماً، حتى انتهت عام 1864 ، بهزيمة المقاومة القوقازية في أخر معاركها التي دارت بالقرب من مدينة مايكوب، الواقعة في المنطقة الشرقية للبحر الأسود. وقد مثلت تلك المنطقة الجبلية الوعرة أخر معاقل المقاومة، وانتهت المعركة بمجزرة واسعة النطاق اوقعت خسائر بشرية جسيمة في صفوف القوقازيين، لتفتح بذلك مرحلة جديدة تمثلت في التهجير القسري للشراكسة من موطنهم التاريخي (ناشخو ، 1995 ، ص. 20).

كانت روسيا ترغب في السيطرة العسكرية على المنطقة والهيمنة على جيرانها في شرق القوقاز ، وذلك بسبب ضعف مكانة الزعيم الروحي ممثلاً في الخلافة العثمانية ، ودخولهم في حالة من التفكك الاسري وانعدام الروابط الاجتماعية ، وهو الامر الذي شجع القياصرة إلى التمدد الاستراتيجي على املاك تلك الامارات المتصارعة في خانيات شرق القوقاز ، واتبعوا اجراءات تعسفية في شرق القوقاز ، إذ حاول الروس القضاء على الطوائف الحرفية وعلى الاخص في الزراعة ، اما الصناعة فقد حازوا على اعمالهم وقاموا بالتنكيل بالسكان بصنوف والوان العذاب (ابو الخير ، (2022) ، ص. 68–67).

بعد هزيمة الدولة العثمانية امام روسيا (1877–1878) تجددت مأساة الشركس بعد طرد مئات الالاف منهم من مناطق البلقان نحو القسم الاسيوي من الدولة العثمانية، وذلك من أجل تنفيذ أحد بنود اتفاقية برلين لعام 1878 ، إذ نص على ابعاد الشركس عن الحدود الروسية

والقيام بطردهم من البلقان، وعلى إثر ذلك تجددت المعاناة مرة اخرى بعد عملية التهجير الثانية التي تعرضوا لها اثناء عقدين من الزمن (ناشخو، (1995) ، ص. 26).

وقد بدأ الروس في محاولة تهجير أولى دفعات السكان المحليين إلى سيبيريا ، وتم ذلك عندما اجلوا ما يقارب من خمسة الاف أسرة عربية وحكم على سكانها بعدم العودة إلى مواطنهم مرة اخرى ، ثم اتجهوا إلى دربند والمدن الثائرة وقاموا بأسر قادتها البالغ عددهم ثلاثمائة شخص واعدامهم ، وقد كللت محاولات الروس المستمرة في السيطرة على بلاد القوقاز بالنجاح التام وقيامهم بالقضاء على المقاومة الإسلامية بفضل السياسة التي اتبعوها ضد سكان الجبال واستطاعوا اخماد الثورة وقمع الحركة الشعبية وسيطروا على المنطقة بالكامل ، نظراً لعدم شمول جغرافية روسيا على بحار أو مسطحات مائية تجعلها بالقرب من المياه الدافئة ، مما دفعها لخوض غمار الحرب ضد مسلمي شرق القوقاز (ابو الخير ، (2022) ، ص. 69-70).

وقد قامت الدولة العثمانية بتنفيذ البند الخاص بإبعاد الشركس من البلقان ، فتم تهجير الشركس المهجرين أساساً من البلقان للمرة الثانية ، إلا ان تهجيرهم جاء وفقاً لمصالح واهواء الدولة العثمانية التي قامت بتوزيع بعضهم ببلاد الشام في المنطقة الواقعة بين نهري الفرات والاردن ، وكما استقبلت مناطق مقدونيا والهرسك والبوسنة نحو مئتي الف شركسي (عبد الحكيم ، (2010) ، ص. 294-296) ، والجدير بالكر ان عمليات التهجير من شمال القوقاز إلى الدولة العثمانية استمرت بشكل فردي ولم تتوقف نتيجة للمضايقات التي كان يتعرض لها مسلمي القوقاز في ظل الحكم الروسي ، هذا الامر دفع الكثير منهم إلى ترك بلادهم والتوجه إلى الدولة العثمانية التي كانت ابوابها مفتوحة لاستقبالهم (العبيدي ، (2023) ، ص. 39-60).

نزول الشركس في لواء البلقاء :

سكن الشركس في بداية وصولهم إلى منطقة عمان قادمين من نابلس ومنطقة خربة الشركس التابعة للواء عكا ، في الكهوف وفي الدرج الروماني وحول منطقة المدرج قبل إن يسكنوا سفح جبل القلعة ، وفي عام 1880 لحقت بهم مجموعات أخرى من قبائل القبرطاي والشابسوغ ، إذ حلت قبائل القبرطاي في القسم الجنوبي لعمان وأطلق عليهم حي القبرطاي ، إما قبائل الشابسوغ فقطنوا في القسم الشمالي من عمان وأطلق عليهم بحي الشابسوغ ، كما توجه قسم كبير من قبيلة البجدوع والابزاخ إلى وادي السير إذ انشأوا قرية وادي السير ، كما وصلت دفعة أخرى في عام 1892 من المهاجرين ، وذلك عبر مدينة دمشق إذ بنوا بيوتهم قرب منطقة رأس العين القريبة من ينابيع الماء في عمان ، وفي ذلك الوقت كانت عشائر الشابسوغ والقبرطاي قد تمكنت من تثبيت وجودها جيداً ، إذ أطلقوا على الفوج الأخير من الشركس لقب المهاجرين ، وبذلك أصبح الحي الذي حل فيه هذا الفوج يدعى بحي المهاجرين (ناشخو ، 1995 ، ص. 57-58).

كان قائد الدرك العام لولاية سورية هو خسروف باشا ، وهو من أصل شركسي ينتمي لقبيلة الاوبيخ ، وقد أمر بان تكون محطة المزيريب مركزاً لتجمع المهاجرين الشركس الذين كانوا يفدون من تركيا إلى الشام عن طريق بيروت أو حلب تمهيداً لنقلهم إلى الأردن للالتحاق بإخوانهم

الذين سبقوهم إلى هناك ، إذ تم نقلهم على الجمال والبغال على شكل قوافل بإشراف خسروف باشا نفسه ، وان الفوج الرابع من المهاجرين الشركس الذين وصلوا إلى عمان عام 1892 كانوا يعتبرون هجرتهم واجباً دينياً ، وكانوا يرون في الشام أنها قلب الدنيا ، وقد استعملوا في رحلتهم العربات الخشبية التي تجرها الثيران ، وكانوا مسلحين بمختلف أنواع الأسلحة الموجودة آنذاك ، وأهمها البنادق التي كانت تخر باليد ، والغدارات التي كانت تحشى باليد وتطلق بواسطة القدح بحجر الصيوان ، إلى جانب السيوف والحراب والخناجر الشركسية التي تسمى (قامه) (ناشخو ، 1995 ، ص. 58).

لقد حرم مهاجرو الفوج الرابع من حصصهم من أراضي عمان في أول الأمر ، مما دفع بعضاً منهم إلى تشكيل وفد من (40) رجلاً ذهبوا إلى دمشق ، وكان من بين رجال الوفد الحاج بلال يوسف (أبو أديب) مختار الشركس في منطقة المهاجرين ، بهدف مقابلة قائد الدرك العام لولاية سورية خسروف باشا ، الذي احسن استقبال الوفد وابدى تأثره حين علم انهم جاؤوا إلى دمشق سيراً على الاقدام وهم كبار السن ووعدهم بزيارة عمان لحل الاشكال ، ووعدهم بحل المشكلة ، وبالفعل لم يمر وقت طويل حتى حضر خسروف باشا إلى عمان ، ثم قام بتشكيل لجنة ضمت ميرزا باشا ومحمد افندي لتوزيع الأراضي على المهاجرين وإسكانهم في الحي الذي عرف فيما بعد بحي المهاجرين ، وامر قائد الدرك العام خسروف باشا بالقاء الذي كان سبباً في حرمانهم من الأراضي في سجن السلط (ناشخو ، 1995 ، ص. 59–60). ان الهدف الأساسي من وراء اسكان الشركس في منطقة شرق الاردن كان هدفاً عسكرياً بالدرجة الأولى ، فقد ارادت الدولة العثمانية الوقوف امام اطماع الانجليز في السيطرة على مصر والجزيرة العربية ، وبالتالي قطع الطريق البحري لجدة ، والي كان يخدم الحجيج إلى بيت الله الحرام ، ورأت الدولة العثمانية ان تزايد عدد السكان في لواءي حوران والبلقاء ، فعملت على اسكان الشركس والشيشان فيها ، وتوطين البدو واستحداث تشكيلات عسكرية جديدة لحفظ الوحدة الجغرافية للأملاك الجنوبية للإمبراطورية العثمانية المتمثلة بالجزيرة العربية والعراق (ناشخو ، 1995 ، ص. 40).

أثر الهجرة الشركسية على المدن الأردنية:

كانت عمان هي أولى القرى التي عمرها الشركس ، وقد أصبحت بعد مجيئهم لها عام 1878 مركز ناحية عمان التي كانت تتبع قضاء السلط ، إذ بدأت عائلات المهاجرين بناء بيوتها من الحجارة التي كانت متوافرة في المنطقة ، ثم سقفوها بالأخشاب التي أتوا بها من الغابات القريبة من عمان ، وكل ذلك أنجز بالتعامل الجماعي ، وكان بينهم البناؤون والنجارون والحدادون وغيرهم من أصحاب الحرف ، فكان على الرجال إن يتمموا هياكل الابنية ثم تقوم النسوة بتمليطة بالطين من الداخل والخارج ثم تبيضه بتراب الحور ، فلم يمض على وصولهم شهرين حتى أصبح لكل عائلة بيت تسكنه ، وبعد استمرارهم بدأ الرجال في ترميم المسجد المتهدم فتم ذلك في عام 1892 ، وهكذا أصبحت عمان قرية جميلة فيها مسجد كبير ومآذنه جميلة وبساتين خضراء ، تزرع فيها الخضار الفواكه والحبوب (ناشخو ، 1995 ، ص. 60).

أصبحت قرية عمان ، قرية نشيطه ومتطورة ، إذ انشأ فيها شارعان كان احدهما لإقامة الدكاكين التجارية عليه ، كما تم إنشاء سوق تجاري له أهمية ملحوظة ، وشق الشركس طريقاً بين عمان ووادي السير الشركسية بواسطة عرباتهم المصنوعة من خشب الصفصاف ،

وأصبح الشركس بعد مدة زمنية لا تتعدى بضع سنوات على درجة كبيرة من الاستقرار ، إذ برزت لديهم زعامات محلية ومضافات لاستقبال الضيوف والغرباء ، كما أصبح البعض منهم مثل محمد اغا ومصطفى افندي على خبرة عالية في مسالك الطرق الواقعة بين عمان وشمالها حتى حوران ، وهذه الخبرة وفرت لهم مورد رزق جديد إذ كانوا يعملون كمراقبين لبعض الرحالة الأجانب ليرشدوهم إلى مسالك الطرق الصعبة بعيداً عن أعين السلطات العثمانية التي كانت لا تسمح لهؤلاء الرحالة والذين كان اغلبهم من الانكليز بالتجول في أراضيها وبخاصة في ولاية سورية خشية من دراستهم لأوضاع المنطقة ، وبالتالي استخدام هذه الدراسات لأغراض عسكرية من قبل الإمبراطورية البريطانية (موسى ، 1985 ، ص. 49).

إن عملية استيطان الشركس في عمان كانت عملية محفوفة بالمخاطر ، على الرغم من إن عدداً من القبائل البدوية القوية كانت تحيط بهم ومنها قبائل العدوان وبني حسن ، إذ إن الحكومة العثمانية قدمت بعضاً من الحماية للمهاجرين في حين اظهر الشركس عزمهم على الدفاع عن أنفسهم ، كما قام الشركس بأمر من الحكومة العثمانية بزراعة بعض الأراضي وامتلكوا بعض الماشية ، وكان الشركس يشكلون مع مواشيهم وخيولهم تناقضاً مع البدو وحيواناتهم ، وبدلاً من إن يرتدوا الأثواب المتدلية الفضفاضة فأنهم كانوا يرتدون معاطف صوفية بيضاء طويلة ومشدودة إلى أجسامهم ، إلى جانب ذلك فان خيولهم كانت مخلوقات صغيرة ومواشيهم أكثر من مواشي البدو ، وكانت عرباتهم الصغيرة الحجم وذات العجلات الصلبة تثير الدهشة في بلدة مثل عمان خالية من المركبات (ناشخو ، 1995 ، ص. 62).

وفي عام 1914 فقد قدر عدد سكان عمان بين الألفي إلى خمسة الاف نسمة ، اما منازل الشراكسة فيها فقد كانت مبنية من الطوب والحجارة القديمة ، وكان لكل منزل ساحة واسعة تتسع للعربات التي تجرها الثيران في الغالب ، وكان الهدوء طابعاً عاماً لقرية عمان ، إذ كان الرجال من الشراكسة يسيرون هنا وهناك في الطرقات وبخطوات ثابتة ، ولم يكن ليشاهد أي أمراه تسير في الطرقات ، وهذا عائد لأطباع الشراكسة المحافظين على التقاليد الإسلامية ، إذ لا يسمحون لنسائهم بالخروج سافرات خارج حدود بيوتهم ، وكان يحملون بدلاً من سيوفهم التقليدية المسدسات والخناجر الطويلة ، وعلى صدورهم يحملون أحزمة متقاربة من الرصاص ، ويعتمرون قبعات صوفية ، وبذلك يكتمل لباسهم التقليدي الشركسي ، كما لم يكن هناك مقاهي ولا أماكن للجلوس في شوارع القرية ، ولم يكن للزائر إن يلمس أي اثر للكسل فالبلدة هادئة ومرتبة كترتيب أهلها (ناشخو ، 1995 ، ص. 65-66).

قرية الناعور:

كان الشركس على اتصال وثيق بالبلاد العربية في زمن الدولة العثمانية ، وذلك من خلال التجارة والحج بشكل خاص ، فكانوا يأتون إلى البلاد العربية للحج ويعودون فيما بعد إلى بلادهم بالقصص والإخبار والخيول العربية الأصيلة التي كانوا يشترونها في طريق عودتهم براً عبر بلاد الشام إلى تركيا ومنها إلى القوقاز ، ومن هؤلاء الشيخ حسين قات الذي خرج في عام 1890 من شمال القوقاز في رحلة إلى الديار المقدسة في بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج وعندما عاد إلى دياره اخذ ينقل إخبار البلاد الحجازية المقدسة إذ كانوا يسمونها (عربستان) ، ويوصف الحياة الدينية في البلاد الحجازية ، ويحدثهم عن كثرة المساجد المقامة في بلاد الشام والحجاز ، كما وصف لهم حياة الاطمئنان

والاستقرار التي يعيشها الناس هناك بعيداً عن الحروب والقتال ، وكان لانطباعات الشيخ قات عن بلاد الشام والديار المقدسة الأثر الأكبر في إقناع فوج من الشركس يبلغ (40) عائلة ، مؤلفة من عشائر الابزاخ والشابسوغ والبجدوغ والاوبيخ ، اضافة إلى عائلة واحده من القبرطاي في الهجرة إلى بلاد الشام ، وقد ركبوا من شواطئ شركاسيا على البحر الأسود سفينة عثمانية ، إذ أقلتهم إلى مدينة استانبول عاصمة الدولة العثمانية ، وشعروا لأول مرة بحرية المجاهرة بإسلامهم وبتأدية شعائرهم الدينية ، فرفعوا الأذان عالياً وأقاموا الصلاة على ظهر السفينة العثمانية ، وعند وصولهم إلى العاصمة استانبول فمكثوا فيها قرابة الستة أشهر ثم توجهوا إلى بلاد الشام (ناشخو ، 1995 ، ص. 84-85).

في عام 1900 حطت القافلة رحالها في منطقة الناعور ، وكانت المنطقة خالية تماماً من أي مظهر من مظاهر العمران ، كما إن أراضيها كانت عبارة عن مزارع مستصلحه ، فلم تكن هناك أراضي مزروعة تدل على حياة مستمرة متطورة ، اما شمال ناعور فكان غنياً بأشجار البلوط والسنديان ، وعلى ضفاف جداول الماء كانت تنمو اشجار الحور والصفصاف ، وساعد هذا الشركسي في عملية صناعة العربات والأبواب والنوافذ وبناء البيوت ، كما إن منطقة ناعور تحوي على ثروة مائية جيدة وكافية لقيام مجتمع حضاري مستمر ، إذ كان فيها عدة ينابيع فقام الشركس ببناء جدران من أحجار ضخمة على مصدر العين حتى يبعدوا عنها خطر التلوث ، وأيضاً قام الشركس بتوسيع الطرق حتى تصبح ملائمة لسير العربات فكانت الاولوية في تمهيد الطرق المؤدية إلى أراضيهم الزراعية شرقي قرية ناعور (ناشخو ، 1995 ، ص. 85-88).

قرية جرش :

كانت منطقة شرق الأردن أرض نزاع متجدد بين القبائل البدوية حول الكلأ والماء ، وكانت القبائل البدوية تحيل المناطق الزراعية الخصبة إلى مراع لقطعانها دافعه الفلاحين إلى هجرة قراهم ، وقد اضطر سكان القرى المستمرة إلى دفع الضريبة للبدو مقابل الحماية ، ومن جهة أخرى شكلت القبائل البدوية مصدر تهديد لطريق الحج الشامي والتجارة مع الجزيرة العربية معاً ، مما دعا الدولة العثمانية إلى التعاقد مع بعض القبائل لحماية الطريق ، ومن أجل مواجهة القبائل البدوية شجعت السلطات العثمانية الشركس على الهجرة إلى شرقي الأردن ومنحهم أراضي لاستيطانه وأعمارها في عمان والسلط ووادي السير وناعور وصويلح والزرقاء (الحوراني ، 2015 ، ص. 451).

سكن الشركس موقع جرش عام 1882 ، إذ قام الوالي حمدي باشا بإرسالهم إلى جرش بقصد تخفيف الضغط السكاني عن منطقة القنيطرة التي اكتظت بالمهاجرين الشركس والبدو الرحل إضافة إلى بعض المهاجرين الشركس الذين بلغ عددهم (200) عائلة والذين جاؤوا في مدة متأخرة ولم يجدوا مكاناً يحلون فيه فأمر بترحيلهم إلى منطقة جرش التي كانت ملائمة لإقامتهم من حيث الماء والأراضي الزراعية غير أنه ولأسباب مختلفة من ضمنها الخلاف مع البدو فأن بعض العائلات التي تقرر إرسالها إلى موقع جرش لم تصل ، وتم تقدير سكان جرش في بداية نزول الشركس فيها بحوالي ثلاثمائة نسمة ، ارتفع فيما بعد إلى الف وخمسمائة شخص بما فيهم بعض الفلاحين من سكان القرى المحيطة ، وعندما حل الشركس في منطقة جرش أقاموا مساكنهم بعيداً عن المناطق الأثرية والى جانب جدول الماء ، كما عملوا على زراعة أراضيهم بالذرة ، وعملوا مع البعثات الأجنبية في بناء ما تهدم من الآثار في المدينة الرومانية المقدسة ، إذ كان يسهل التعامل مع

الشركس أكثر من البدو ، بسبب أنهم كانوا أكثر استعداداً للعمل حين يعرض عليهم ، بالإضافة إلى إن الشركس استحوذوا على وظيفة إرشاد جماعات السياح ، وحافظوا على الآثار في مدينة جرش ولم يعبثوا بها ولم يعملوا على تغيرها أو استعمال حجارة الآثار للأغراض العمرانية ويعود الفضل في ذلك إلى مدير القرية الشركسية عبد الحميد نوح بك الذي كان يوصف بأنه قوي الشخصية وعلى درجه من الثقافة ويقدر قيمة هذه الآثار ، إذ أكد على عدم استعمال الشركس الذين أنشاؤا جرش حجارة المدينة الأثرية في بناء منازلهم ، فحافظ بهذا الأمر على سلامة هذه المدن الأثرية من العبث والتهديم ولاسيما انه كان يتمتع بسلطة رسمية فعلية من السلطات العثمانية خولته جباية الضرائب وفض المنازعات ، وكان يقوم على تنفيذ أوامره مفرزه من الخيالة الأتراك مع ضباطهم (الحوراني ، 2015 ، ص. 100–103). وقاموا الشركس بتطوير الزراعة فيها من خلال ادخال تقنيات زراعية جديدة وتهيئة الأراضي للزراعة، وتربية النحل، وصناعة الغزل والنسيج، ولوازم صناعة النجارة (أبو دية ، 2024 ، ص. 108–109).

العلاقة بين عشائر الشركس والعشائر البدوية الأردنية:

اتسمت العلاقة ما بين المهاجرين الشركس وسكان البدوية في بداية الاستيطان بالتوتر والعداء ، لاسيما في منطقة القنيطرة ، إذ عارضت قبائل الفضل البدوية سياسة الاستيطان التي انتهجتها الدولة العثمانية وعدتها تهديداً لمراعيها ، وسعت تلك القبائل إلى مقاومة استقرار الشراكسة في المنطقة ، فنفذت اعتداءات استهدفت مواشيهم وممتلكاتهم التي اعطتهم الدولة العثمانية صلاحية شرائها لبداية حياتهم في المنطقة ، ورداً على ذلك منحت الدولة العثمانية الشراكسة صلاحية حماية ممتلكاتهم ، كما اقدمت على اعتقال شيخ قبائل الفضل ، الامر الذي اسهم في انهاء حركة المعارضة ، إلى جانب ذلك كان للتفوق العسكري والتسليحي الذي تمتع به الشراكسة دور في حسم الصراع ، مما اضطر قبائل الفضل في النهاية إلى الانسحاب من المراعي التي ترعى فيها مواشيها (ناشخو ، 1995 ، ص. 123).

وفي أيار عام 1909 حدثت مناوشات بين قبيلتي الرولة والشركس في قضاء القنيطرة ، والتي اسفرت عن قتل اثنين من العربان ، وامتدت اعتداءات عرب الرولة إلى مناطق شرق الأردن ، إذ وقعت عام 1914 معركة بينهم وبين شركس ناعور أسفرت عن وقوع خسائر كبيرة في صفوف مهاجرين الرولة ، ومنذ ذلك التاريخ لم يعد عرب الرولة للمنطقة إذ رحلوا إلى إطراف دمشق ، وإن وصول الشركس إلى شرق الأردن أثار مخاوف القبائل البدوية في المنطقة ولاسيما قبائل منطقة البلقاء الذين كانوا يمتلكون أراضي شاسعة ويدعون ملكيتهم لها ، بالإضافة إلى ان اغلب عشائر شرق الأردن يعارضون دفع الضرائب للحكومة العثمانية ، إلى جانب إن السكان من أهل السلط كانوا يخفون أوراق ملكيتهم للأرض خوفاً من فرض التجنيد الإجباري على أولادهم ، وبذلك فقد كان جميع الأهالي يسيطرون على الأراضي من خلال استخدامها ، وهذا لم يكن يجيز لهم التصرف بهذه الأراضي ، ومن هنا وجدت الدولة العثمانية السند القانوني الذي يبيح لها توطين القبائل الشركسية في المنطقة (ناشخو ، 1995 ، ص. 124–125).

أدى استقرار الشركس وإنشائهم لقرى زراعية مستمرة إلى تشجيع بعض العشائر الأخرى في المنطقة للاستقرار والعمل في الزراعة ، إذ دفعوا الضرائب واحتفظوا بملكيتهم للأرض التي كانت بين أيديهم ، إلا ان الغالبية العظمى من عشائر منطقة البلقاء لم تستطع دفع الضرائب

ولم تقم بزراعة أية أراضي وبذلك فقدت حقها في حيازة مستندات تمليك لأي من الأراضي التي كانت ترد إليها وتربى فيها إبلها ومواشيها ، وان فشل محاولة العشائر البلقانية في إثبات ملكيتهم للأراضي التي قامت الدولة العثمانية بتمليكها لعشائر الشركس ، أدى إلى نشوب العديد من النزاعات بين الطرفين ، وهذا يدل على إن الصراع الذي نشب بينهما هو صراع اقتصادي على الأرض والكلأ وليس صراعاً عرقياً ، وتمثلت هذه النزاعات بما يسمى (الحرب البلقاوية) عام 1910 ، والتي انتهت بتدخل عشائر بني صخر لإصلاح ذات البين ، وكانت قد التزمت جانب الحياد إثناء القتال ، واستطاعت إبرام الصلح بين عشائر البلقاء وعشائر الشركس على غرار اتفاقية الصلح والتعاون التي كانت معقودة بين عشائر الشركس وبني صخر ، وتعتبر هذه الموقعة أكبر موقعة حدثت بين الشركس وبدو البلقاء وأخرها ، ولم يحدث بعدها ما يعكر صفو الأمن في المنطقة ، إذ سادت روح التفاهم والوئام والاخوة بين الطرفين ، كما إن الاتفاق الذي جرى بينهما بضمان عشائر الصخور أدى إلى وضع حد للاعتداءات والنهب والسلب ، وإلى ضمان الأمن والاستمرار في المنطقة (ناشخو ، 1995 ، ص. 125-126).

وفي الحروب البلقانية (1912-1913) كانت الفرق الشركسية جزءاً من القوات العثمانية التي قاتلت في جبهات مختلفة، واظهر الشركس شجاعة ومهارة في المعارك وساهموا في الدفاع عن الأراضي العثمانية ضد الهجمات البلغارية والصربية واليونانية، وساهمت مشاركتهم في الحروب البلقانية من تعزيز قدرات القوات العثمانية على التصدي للهجمات، مما اعطى للدولة العثمانية القدرة على مقاومة الضغوط العسكرية التي تعرضت لها، فكانت استراتيجياتهم وقدراتهم القتالية جزءاً من المجهود الحربي العثماني (أبو دية ، 2024 ، ص. 78).

تواجد الشراكسة في إمارة شرق الأردن:

بعد توقف نيران الحرب العالمية الأولى واعلان الهدنة في 11 تشرين الثاني عام 1918 قررت الدول المنتصرة في الحرب ان يعقد مؤتمر السلام في باريس (Paris) في كانون الثاني عام 1919 من أجل عقد المعاهدات وتقرير مصائر الشعوب ، لذلك اخذ قادة وابناء الوطن العربي بالتطلع إلى الحلفاء بتنفيذ وعودهم بإعطاء العرب استقلالهم على أثر المساعدة التي قدموها لهم في اثناء الحرب ، معتمدين على اعلان الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية (1913-1921) وودرو ويلسون (Woodrow Wilson) (Encyclopedia Britannia , 2009) مبادئه الاربعة عشر وما مثلته تلك المبادئ من شعارات براقه أساساً لحل مشكلات العالم لاسيما النقطة الخامسة التي منها حق تقرير المصير. (مهدي ، 2024 ، ص. 395) وبذلك انتهت الحرب العالمية الأولى عام 1918 وانتهى معها عهد الدولة العثمانية ، وقد نكر البريطانيين والفرنسيين لوعودهم التي قطعوها لجلالة الملك الحسين بن علي (دحلان ، 1981 ، ص. 359 ، الزركلي ، 2002 ، ج 2 ، ص. 249) ملك العرب وقائد الثورة العربية الكبرى في استقلال بلاد العرب ، وعمدوا إلى تقسيم بلاد الشام بموجب معاهدة (سايكس – بيكو – Sykes-Picot) والتي عقدت بين كل السير مارك سايكس (Mark Sykes) البريطاني وجورج بيكو (George Biko) الفرنسي ، وتم بموجبها اقتسام مناطق الدولة العثمانية ، تم الاتفاق على تخصيص شرق الاناضول وحتى منطقة تقع شمال كرستان التركية على الخط الممتد من موش وسعرت وجزيرة ابن عمر والعمادية إلى الحدود الايرانية إلى روسيا القيصرية (انطونيوس ، (1966) ، ص. 578) ، كما حصلت فرنسا بموجبها على الجزء الأكبر من بلاد الشام وجزء كبير من جنوب الاناضول ومنطقة الموصل في العراق ، اما بريطانيا فامتدت

سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعة بالاتجاه شرقاً لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية (زعيتري ، (2022)) ، واستثنت الاتفاقية فلسطين من التقسيم كون بريطانيا وفرنسا قد وعدت تسليمها لليهود حسب وعد بلفور واقرت اخضاعها إلى ادارة دولية تحت وصايا عصبة الأمم (Howard , (1971 , P. 43) ، وان جهود الملك حسين باءت بالفشل ، وازاء ذلك اتخذوا اعضاء المؤتمر السوري في 17 اذار عام 1920 قراراً بإعلان استقلال سورية ونادوا فيصل ملكاً عليها ، وبذلك اصبحت عمان تحت الحكم الفيصلي المستقل (ناشخو ، 1995 ، ص. 142). وقفت العشائر الاردنية في هذه الظروف مع الملك فيصل والدولة العربية التي أعلن عن استقلالها في سورية، فزحفت قوة كبيرة من عشائر الاردن بزعامة سلطان بن عدوان وقوة اخرى من شركس الاردن، وكانت هذه المرة الأولى التي يشارك فيها الشركس مسيرة الثورة العربية بعد زوال الحكم العثماني، وعندما بلغت هذه النجدة في سيرها قرية المزيريب علمت بما حدث في معركة ميسلون في 24 تموز عام 1920 وانهيار القوة الدفاعية في البلاد فعاد رجالها إلى مضاربهم وقراهم (ناشخو ، 1995 ، ص. 143). في نهاية اذار عام 1921 وصل الأمير عبد الله بن الحسين إلى القدس واجتمع بوزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل (Winston Churhill) (القريشي ، 2005)، وطالب بدولة عربية يحكمها، تضم شرق الأردن وفلسطين كاملة لكنه جوبهت بالرفض لضم فلسطين لدولته، وتمخض الاجتماع عن جملة من الأمور: (غرايبة ، 2005 ، ص. 65)

1. إن يمتنع عبد الله بالقيام أي إعمال ضد الفرنسيين.
2. إن يتخلى عن حقوقه وفعالياته في العراق.
3. إن يتعهد بالمحافظة على الأمن في شرق الأردن.
4. إن يعترف بالانتداب البريطاني على شرق الأردن.
5. إن يعين ممثل بريطاني في عمان كمستشار لحكومة الأمير.
6. يتعهد البريطانيون بالاعتراف باستقلال البلاد في تاريخ لاحق.

وبموجب هذا الاتفاق منح الأمير سلطة الحكم الإداري الذاتي لإمارة شرق الأردن في أوائل نيسان عام 1921 ، وكان اسم الإمارة آنذاك (حكومة الشرق العربية) ، وكانت تظم ثلاث مقاطعات هي عجلون والسلط والكرك ، ثم ضمت إليها مقاطعة معان عام 1925 ، وشرع الأمير عبدالله في تنظيم الإمارة الجديدة من خلال الغاء الحكومات المحلية التي كانت موجودة سابقاً وتنظيم سلطة مركزية في عمان وإقامة الأمن والنظام في أراضي شرق الأردن وايقاف الغارات من الصحراء وإقناع الشعب بدفع الضراب ، وبهذا استطاع الملك عبدالله من إقامة أول نظام حكومي مركزي في مجتمع معظمه عشائري وبدوي (غرايبة ، 2005 ، ص. 66).

الشركس في المملكة الأردنية الهاشمية:

بعد انسحاب الجيش العثماني من منطقة شرق الأردن عام 1918 لم يخرج الشركس معهم بالرغم من الفوضى والفراغ السياسي والأمني الذي خلفه الانسحاب ، وعندما سمعوا بوصول الأمير عبدالله إلى معان متجها إلى عمان ، انطلق الزعيم الشركسي سعيد المفتي (بركات ،

2015) ، إلى معان واستقبله أحسن استقبال كونه من سلالة رسول الله "ص" ، وعندما وصل الأمير عبدالله إلى عمان اخذ بيتاً مقابل المدرج الروماني ، فكان الشركس يمثلون أكثرية السكان في تلك المنطقة ، وكان هنالك عدد من الفرسان الشركس مع الزعيم الشركسي ميرزا باشا يقومون بحماية سكة الحديد ، فقرروا الانضمام إلى حرس الأمير وتشكيل جيش صغير لحماية وحراسة الشريف عبدالله بن الحسين واتخذوا لبس وزي محدد لحراسته وكان هذا الزي خاص بهم ، فكان نظام الحراسة ليلاً ونهاراً خوفاً على الشريف عبدالله من التعرض لأي أذى أو غدر ، وعندما رأى الشريف عبدالله هذا الحرس الشركسي ، قال لزعيمهم ميرزا باشا انه لا يستطيع دفع أو تقديم أي نفقات ورواتب في الوقت الحالي ، فرد عليه إن ما نفعله هو واجب علينا ولا نردي أي نفقات أو أي رواتب منك وإنما نقوم بهذا الشيء لحمايتك من التعرض لأي أذى أو أي سوء ، فكان الحرس لا يسمحون بدخول أي شخص مسلح إلى منزل الأمير وكانوا دائما محيطين بالمنزل ويرافقوه إلى أي مكان يذهبه ، وعندما تم تشكيل إمارة شرق الأردن وتعين الشريف أميراً عليها قام بدفع الرواتب لهم وجعلهم كحرس دائم للقصور الملكية ، والذي أطلق عليه اسم (الحرس الشركسي الملكي) (غرايبة ، 2005 ، ص. 66). تمتع الشركس في عهد الإمارة بالحرية ، إذ فتح لهم المجال للمشاركة في البناء الوطني والتحرر السياسي ، إذ خصص لهم قانون انتخاب أعضاء المجلس التشريعي عام 1928 مقعداً في المجلس لكل (500) شركسي يقطنون في دائرة انتخابية ، إذ شكل الشركس عنصر مهم في الهيئة الاجتماعية العليا وكرجال إعمال وأصحاب أراضي ، وكان من أبرز الشراكسة الذين مارسوا الحياة السياسية في عهد الإمارة هو (سعيد باشا المفتي) والذي ولد في عمان لأسره شركسية عريقة أصبح في ما بعد زعيمها ، ودخل في خدمة حكومة شرق الأردن في عهد الانتداب ، فكان نائباً لمحافظ عمان عام 1924 ، ومحافظاً لها عام 1925 ، ورئيس لبلدية عمان عام 1927 ، وعضو في المجلس التشريعي (1929–1931) ، ومديراً للخزينة عام 1939 ، وللداخلية عام 1941 ، وفي عام 1944 دخل سعيد المفتي الوزارة للمرة الأولى ، إذ تولى وزارة المواصلات والداخلية (1944–1945) ، وفي عام 1951 تولى رئاسة الوزراء للمرة الأولى ، وخلال الأعوام التالية كان بصورة مستمرة تقريباً إما رئيساً للوزراء أو نائباً (صفوه ، 2017 ، ص. 33).

استطاع الأمير عبد الله إن يوصل الإمارة الأردنية بعد خمس وعشرين عاماً إلى الاستقلال السياسي كدولة مستقلة ذات سيادة، فبدأ عهد الاستقلال بمعاهدة التحالف التي عقدت عام 1946 ، إذ نصت المادة الأولى منها على اعتراف بريطانيا بشرق الأردن كدولة كاملة الاستقلال، وعلى أثر تلك المعاهدة تم إعلان المملكة الأردنية الهاشمية وتنصيب الملك عبد الله بن الحسين ملكاً على البلاد، وتم اقرار ذلك في يوم السبت الموافق 25 ايار عام 1946 من قبل المجلس التشريعي. ولم تشهد الاقلية الشركسية في المملكة الهاشمية حالة من انحياز الدولة ضدها، ولم تعد تشعر بالتهديد الذي كانت تشعر به قبل تأسس الدولة في صراعها مع القبائل، علاوة على ذلك فان المجتمع الأردني في المملكة الهاشمية شهد تحولات عميقة في بنيته وتركيبته الاجتماعية وتنوعه وانفتاحه، وقد واكبت معظم الاقلية الشركسية جميع التحولات وتعرضت لذات القوة التغيرية التي تعرض لها المجتمع الأردني (غرايبة ، 2005 ، ص. 68).

وفي عام 1951 تسلم الملك طلال سلطاته الدستورية ملكاً على الأردن، وفي عهده تم انجاز العديد من المنجزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان أبرزها على الإطلاق إصدار دستور جديد للأردن عام 1952 والذي أسقط عبارة (مراعاة التمثيل العادل للأقليات .....) من المادة (67) والتي تتحدث عن انتخاب مجلس النواب لدستور عام 1928 ، إذ حل محلها المادة (6) من الدستور الحالي ، والذي نص على : (لا فرق في الحقوق إمام القانون بين الأردني ولو اختلفوا في العرق والدين واللغة) ، وهذا يدل على إن المملكة قد تجاوزت مفهوم الاقلية وأنه لا ينطبق على الشركس والشيشان والمسيحيين ، وعليه فلا يجوز تخصيص مقاعد لهم في الحكومة على هذا الأساس ، بل يخضعون كغيرهم من إفراد الشعب الأردني لمبادئ المساواة وتكافؤ الفرص بموجب الدستور لذا فان اغفال دستور عام 1952 لموضوع اقليات مقصوداً لذاته ، وينطوي على حكمة معينه وهو استبدال مفاهيم العرق والدين بمفهوم المواطنة ، فالمواطنة تصهر الفوارق الدينية والعرقية بين إفراد المجتمع ، وتجعل من التركيبة الاجتماعية تركيبة متجانسة ومنتمية للدولة ، ومن الإحداث الهامة في عهد الملك طلال والذي استفاد منه الشركس في الدخول في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو توقيع الحكومة الأردنية على ميثاق الضمان الجماعي العربي في 22 اذار عام 1952 لتكوين مجتمع مدني حديث يقوم على المشاركة السياسية الفاعلة لكي يتيح لمختلف القوى (الشعبية والسياسية) الفرصة في المساهمة في صناعة القرارات التي تؤثر على الحياة المباشرة للمجتمع المتعلقة بمصيره ، كما أنه جعل التعليم إلزامي ومجاني ، وهذا ساعد الشركس على التخلص من الأمية التي كانت غالبه عليهم (العرقان ، 2019 ، ص. 23–24).

وفي 11 آب عام 1952 قرر مجلس الأمة إعفاء الملك طلال من المسؤولية ، بسبب سوء حالته الصحية وتعين نجله الأكبر ولي العهد الحسين بن طلال ملكاً دستورياً على البلاد ، إذ عرف عنه بإيمانه بالاعتدال وعدم التطرف والتسامح والانفتاح على العالم وامتازت قيادته بالوسطية والاعتدال وتميزت العلاقة بين الحاكم والشعب بالمصاهرة والمكاشفة الصادقة ، وعلى ضوء هذه السياسة المرنة شكل الشركس المجلس العشائري الشركسي والشيشاني عام 1962 ، إذ كان مشكلاً من (15) عضواً من الشركس والشيشان المنتخبين من قبل ممثلي التجمعات الشركسية والشيشانية وجمعياتهم في مختلف المدن والمناطق التي يقطنها الشركس والشيشان ، إلا إن الشيشان انفصلوا عن هذا المجلس وأصبح المجلس مجلساً عشائرياً شركسياً فقط ، ومن الجدير بالذكر انه كان يتجدد كل بضعة سنوات أو كل عامين ، وفقاً لقانون متفق عليه من قبل الجميع ويقضي بتشكيلة عن طريق الانتخابات من قبل الجمعيات والتجمعات الشركسية ، وكان موسى جيبات سكرتيراً لعدة مجالس عشائرية ، اذ كان يسعى دائماً لتطبيق القانون المتفق عليه ، وقد تعاقب على رئاسة المجلس العشائري الشركسً أربعة رؤساء من زعماء الشركس وهم كلا من : (سعيد المفتي ، فواز ماهر ، سيف الدين مراد ، وعدنان مولود) ، وتقوم مهام المجلس في الدفاع عن الشركس والحصول على أكبر دعم ممكن لجمعياتهم الخيرية ومختلف النشاطات الشركسية ، كما تقوم بفض النزاعات والتنسيق والإصلاح بين الاطراف المتنازعة ، وينسق مع الجمعيات الشركسية في جميع إنحاء العالم ويدعم حضور الأردنيون الشركس لهذه الاجتماعات (غرايبة ، 2005 ، ص. 78). وشاركوا في تطوير السياسات المحلية في البرلمان الاردني ومنهم النساء، مثل توجان فيصل، ويعود ذلك إلى احترام المرأة في الثقافة الشركسية (أبو دية ، 2024 ، ص. 112).

وجلب الشركس معهم تقاليدهم الثقافية العريقة من موطنهم والتي شملت الرقص والموسيقى والادب، وانشأوا مدارس ومراكز ثقافية للحفاظ على لغتهم وعاداتهم، ومن أشهر الرقصات الشركسية التي تؤدي في الاردن هي الرقصة الشركسية التقليدية (زفافو) وتعتبر هذه الرقصة من رموز الثقافة الشركسية، إذ تؤدي بطريقة تعكس المهارة البدنية والايقاعية العالية، وتجمع بين الحركات السريعة والانماط الرقصية الدينامية (أبو دية 2024، ص. 113). وكما قدم الشركس إلى الاردن انواعاً مختلفة من الموسيقى التقليدية التي تعتمد على الآلات الموسيقية مثل: الدف والطبل والناي والأكورديون، إذ تتميز الموسيقى الشركسية بإيقاعاتها القوية والحانها الخاصة التي تعكس التراث الثقافي للشركس. وساهم الشركس في تعزيز الادب بكتابة قصص وشعر باللغتين الشركسية والعربية، فالادب الشركسي التقليدي بما في ذلك الاساطير والحكايات الشعبية التي تدرس في المدارس والمراكز الثقافية التي انشأها الشركس في الاردن، يتضمن حكايات ملحمية واساطير تعكس حياة الشركس في موطنهم الاصلي وتقاليدهم الثقافية. كما قاموا بترجمة العديد من القصص الشعبية الشركسية إلى اللغة العربية، إذ ساهمت هذه الترجمة في تقديم هذه القصص لجمهور أوسع، مما جعل التراث الشركسي أكثر قابلية للفهم والتقدير من قبل المجتمع الاردني. أما في مجال الفنون، قدموا اسهامات في مجال المسرح والسينما، إذ ظهرت بعض الاعمال التي تعكس الثقافة الشركسية وتجاربهم في الاردن. فالمسرحيات تركز على تقديم القصص والشخصيات الرئيسية من التراث الشركسي، بما في ذلك الاساطير والحكايات الشعبية التي تحمل قيمة تاريخية وثقافية كبيرة (أبو دية، 2024، ص. 115–118).

تحولات المجتمع الشركسي في الأردن:

مر المجتمع الشركسي في الأردن بمرحلتين من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فالمرحلة الأولى كانت قبل تأسيس الدولة الأردنية (1878–1914)، والتي امتازت بالآتي:

أولاً / الحياة الاجتماعية:

كانت عمان أشبه ما تكون بقرية ريفية يتحدث سكانها واغلبهم من الشراكسة باللغة الشركسية في الحياة الخاصة والعامة ، كانت العادات والتقاليد (القانون الشركسي الاجتماعي) ، كما كانت عليه في بلادهم الأصلية ، لان التماسك الاجتماعي كان قوياً ولأسباب أمنية ودفاعية ولظروف الطبيعة القاسية ، وكانت المضافات الخاصة بالوجهاء من كبار السن في بيوتهم منتشرة لمناقشة أمور الحياة اليومية واستعراض ما وقع من إحداث وحوادث ، كما كانوا يتبادلون ألواناً من الشعر وإلقاء من نصوص الأدب المحفوظة بصدورهم ، وكان الحضور يختصر على كبار السن ، اما الاصغر سناً فأنهم يقومون بخدمة الكبار ويستمعون وهم واقفين ، كان التعاون قوياً وفعالاً بينهم فكانت فزعات (ألعونه) متكررة كمساعدة في بناء مسكن أو أيام الحصاد يساعدون الاضعف إمكانات من بينهم كي لا يتأخر عن الموسم. إن المجتمع الشركسي لا يفصل بين الجنسين ، فهو مجتمع مختلط بالكامل كما إن زواج الأقارب محظور في المجتمع الشركسي ويعتبر من الثوابت الاجتماعية ، وأيضاً من الثوابت الاجتماعية عند الشراكسة تجنب الزواج الثاني على زوجة موجودة ، فتعدد الزوجات لم يكن مألوفاً كذلك الطلاق في المجتمع الشركسي (وردم ، 2014 ، ص. 34).

ثانياً / الخصائص الثقافية:

كان المجتمع الشركسي أمياً لا يقرأ ولا يكتب باللغة الشركسية ولا يتحدثون باللغة العربية سوى عدد قليل جداً، إما الذي كان يرتديه غالبية الشراكسة فهو الزي الشركسي سواء كان خاصاً بالعمل أو اللباس التقليدي الخاص بالمناسبات، كما كان يوجد في المجتمع الشركسي شعراء وشاعرات ينظمون الشعر باللغة الشركسية وكان طابع الشعر آنذاك حزيناً (وردم ، 2014 ، ص. 37).

ثالثاً / الخصائص الاقتصادية والصحية:

كانت الزراعة هي المهنة الشائعة لدى الغالبية العظمى منهم مقرونة بتربية الماشية والدواجن لتحقيق الاكتفاء الذاتي، بالإضافة إلى إن مهنة الحدادة والنجارة كانت متوفرة خاصة تلك المتعلقة بصناعة أو صيانة الأدوات الزراعية، كما عرف المجتمع الشركسي في تلك المدة صياغة الذهب والفضة لصناعة الحلي النسائية والزينة الخاصة بالفرسان والخيل. إما الأوضاع الصحية فكانت متردية بشكل عام فنسبة الوفيات كانت مرتفعة، بسبب افتقارهم للثقافة الصحية والادوية والتغذية الكافية وسكنهم في بعض المناطق التي كانت موبوءة بالملاريا اي لكثرة المياه الأسنة، إذ إن نصف المهاجرون قضوا بهذا المرض قبل إن يعاد إسكانهم بالحي الذي عرف بـ (حي المهاجرين) (وردم ، 2014، ص. 37).

مرحلة تأسيس الدولة الأردنية:

تحولت عمان بقدوم الأمير عبدالله بن الحسين إلى عاصمة للدولة الفتية ، وأصبحت ملاذاً لأحرار العرب ممن شاركوا في الثورة العربية الكبرى ، وبدأت مرحلة بناء الدولة الحديثة بتثبيت السلطة المركزية وإشاعة الأمن والاستمرار في ربوع الأردن ، فسنت التشريعات وعلى رأسها الدستور واستكملت بناء السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وانبثق الجيش العربي من بين صفوف رجال الثورة ، وبدأ انتقال المواطنين مكن مختلف مناطق الإمارة إلى العاصمة للانخراط في صفوف الجيش الناشئ ودوائر الدولة الرسمية وغيرها من المرافق ، إن تدفق السكاني وان بدأ متواضعاً بحكم محدودية السكان في عمان ، إلا أنها كانت كافية لتغير التركيبة السكانية ليصبح المجتمع المحلي من أصول شركسية جزءاً من مجتمع أكبر بتقاليد وعادات مختلفة وأخذت هذه الأقلية تتأثر بالتغير وتظهر لها خصائص جديدة تمثلت بالاتي : (وردم ، 2014 ، ص. 42)

أولاً / الخصائص الاجتماعية:

1. تراجع استخدام اللغة الشركسية واستعمال اللغة العربية الرسمية للدولة وشؤون الحياة العامة، إذ اقتصرت في البداية على التخاطب داخل الاسر، لان الجيل الأول من المهاجرين لا يزالون على قيد الحياة وكان يتعذر مخاطبة كبار السن باللغة العربية، ثم انحسر استعمالها بوفاة الجيل الأول من المهاجرين، لتحل اللغة العربية محلها في مختلف شؤون الحياة.

2. انخفاض نسبة السكان من أصول شركسية مقارنة بإجمالي سكان الأردن، بسبب تدفق اللاجئين الفلسطينيين بعد النكبة القومية في فلسطين عام 1948 ، إلى جانب الزيادة الطبيعية في عدد السكان.

3. ضعف التماسك الاجتماعي بين المجتمعات المحلية الأردنية من أصول شركسية ولكن دون مظاهر سلبية، كما اختفت تدريجياً بعض العادات والتقاليد الموروثة مثل المضافات والزي الشركسي وحفلات الرقص المنزلية مع استمرار اندماجهم في المجتمع الأردني، دون ان يترتب على ذلك مظاهر اجتماعية سلبية.

ثانياً / الخصائص الاقتصادية والثقافية:

دخلت الوظيفة العامة حياة المجتمع الشركسي لتصبح المهنة الثانية بعد الزراعة، إذ انخرط الأردنيون الشركس في دوائر الدولة والجيش والشرطة وأصبحوا جزءاً من بناة الدولة، لوجودهم في العاصمة وحولها مما سهل الأمر عليهم. إما الجانب الثقافي فتمثل بظهور الجمعيات والاندية الاتية: (ازوقه ، 2010 ، ص. 228)

1. الجمعية الخيرية الشركسية: تأسست هذه الجمعية على أيدي مجموعه من الشباب الشركس عام 1932 والذين التحقوا بالدراسة بالجامع الأزهر بمصر واشتركوا مع المصريين من أصول شركسية بتأسيس الجمعية والتي كانت تسمى في بدايتها باسم (جمعية الإخاء الشركسية)، ثم انتقل مقرها من القاهرة إلى عمان، وقد كانت الجمعية تهدف إلى تحقيق الاهداف التالية: القيام بالإعمال الخيرية ومساعدة الأقل حظاً في المجتمعات المحلية الشركسية. والعمل على دوام حسن التفاهم وتشجيع الأبناء على النشاط الرياضي والعمل على رعاية الشباب رياضياً واجتماعياً. كذلك أصبحت الجمعية بيتاً للأردنيين من أصول شركسية تناقش فيه الشؤون العامة، وكان من أبرز ما أنجزته الجمعية على الصعيد الاجتماعي إقرار وثيقة الزواج التي حددت قيم المهر، اذ لاحظت بان المغالاة في طلب المهور أصبحت ظاهرة اجتماعية سلبية نتيجة تحسن الظروف المعيشية لبعض شرائح المجتمع وقد التزم الجميع بهذه الوثيقة ولغاية الآن. وبلغ عدد أعضاء الجمعية نحو (3300) عضو مما يعني ان غالبية العائلات الشركسية ممثلة بالجمعية بعضو واحد أو أكثر من إفراد العائلة، كما أصدرت الجمعية مجلة دورية باسم) الواحة)ثم سميت باسم (نارت) فيما بعد والتي تعتبر سجلاً لوقائع الحياة اليومية في المجتمع الشركسي.

2. النادي الأهلي : تأسس في عام 1944 ، ويهدف إلى دعم وتشجيع الحركة الرياضة والثقافة والاجتماعية في البلد ، ويعتبر هذا النادي في الاندية التي تقود الحركة الرياضية في المملكة وتنمية الطاقات الشبابية الرياضية ، اصدر النادي (مجلة الأهلي) التي كانت ترصد وقائع الحياة اليومية في المجتمع الشركسي ، كما انطلقت منه (فرقة الرقص للفنون الشعبية) التي تقدم عروضها في مهرجان جرش وفي خارج المملكة ، وكان من أبرز برامجها هو تقديم الاغنية الشركسية بعد إن باتت من الماضي لتعريف الجمهور بها كما ينظم النادي عدداً من البازارات الناجحة لتقديم الاشغال اليدوية من التراث الشركسي ، بالإضافة إلى إدارة النادي (مدينة الأهلي للألعاب الترفيهية) لعدة سنوات في مدينة رأس العين (وردم ، 2014 ، ص. 46-44).

3. نادي الجيل الجديد : تأسس في عام 1949 ، بهدف الحفاظ على التراث واللغة الشركسية ، ويعد من اوائل الاندية التي اهتمت بالحفاظ على الموروث الثقافي الشركسي من خلال العديد من الانشطة الثقافية والفنية ، وركز بشكل خاص على الحفاظ على اللغة الشركسية من خلال تعليمها كتابة ومحادثة ، وعمل على تطوير الموسيقى الشركسية ، وشاركت فرقة النادي للرقص والتراث الشركسي في العديد من المناسبات الوطنية الاردنية ، مما اسهم في تعزيز التواصل الثقافي بين المجتمع الشركسي وبقية مكونات الشعب الاردني (اسحاقات ، القضاة ، (2025) ، ص. 268).

وهناك مجموعة من الامور المرتبطة للمحافظة على الثقافة الشركسية من خلال المؤسسات الشركسية في الأردن هي: (اسحاقات، القضاة، (2025)، ص. 276-287).

1. الحفاظ على اللغة الشركسية كهوية وتراث.
2. نقل العادات والتقاليد الشركسية وتوثيقها إلى الاجيال.
3. ابراز اللباس الشركسي كجزء من الهوية الثقافية.
4. الحفاظ على الموسيقى والرقص الشركسي.
5. تعزيز الانتماء للهوية الشركسية مع المجتمع الأردني.
6. مستقبل الثقافة الشركسية وتأثرها بالثقافة الأردنية.
7. الحفاظ على الثقافة الشركسية للأجيال.

وقد نجح اندماج الشركس في الأردن بصورة أكبر من اندماجهم في بعض دول البلقان أو الاناضول، ويعود ذلك إلى عدة عوامل تاريخية وسياسية واجتماعية أهمها (Shami، (1994) ، P. 189-201):

1. اندمج الشراكسة في المجتمع الأردني، وشاركوا في الجيش والادارة والحياة السياسية مع احتفاظهم بلغتهم وعاداتهم وجمعياتهم، بخلاف كثير من تجمعاتهم في الاناضول والبلقان التي تعرضت لسياسات استيعاب وذوبان ثقافي بدرجات متفاوتة.
2. حظي الشراكسة في الأردن بدعم من الدولة العثمانية أولاً، ثم من امارة شرق الاردن والدولة الاردنية لاحقاً، مما سهل استقرارهم ومشاركتهم في مؤسسات الدولة.
3. استقر الشراكسة في مناطق محددة مثل عمان، وادي السير، ناعور، وجرش، وحافظوا على مؤسساتهم الاجتماعية والثقافية، الامر الذي ساعد على صون هويتهم.

ويمكن ايجاز أبرز الأهداف للدولة العثمانية لقيامهم باستقبال الشركس في الأراضي التابعة لها بما يأتي:

1. وجدت الدولة العمانية فيهم فرصة لزيادة اعداد مقاتليها، وذلك من خلال تجنيدهم في صفوف جيشها، وخاصة ان الشراكسة قد اشتهروا بشجاعتهم وقدراتهم العسكرية التي اكتسبوها عن طريق الحروب الطويلة التي خاضوها ضد الروس (ناسخو، (1995)، ص. 19).

2. سعي الدولة العثمانية لاستعمال الشركس لإصلاح الأراضي الزراعية غير المستغلة وزيادة الإنتاج الزراعي، وذلك من خلال ضح الالاف من الفلاحين الشركس داخل حدود الدولة العثمانية، لاسيما وأنها كانت تعاني في تلك الفترة من الازمات الاقتصادية (ناشخو، (1995)، ص. 19).

3. كذلك عملت الدولة العثمانية لدعم سلطتها في الولايات التابعة لها بعد ان ضعفت قبضتها عليها على استعمال المهاجرين كحاجز صد على الحدود الشمالية للدولة، اما الشركس الذين اسكنوا في الجزء الاسيوي فقد انيطت بهم مسؤوليات القضاء على التمردات المحلية (ناتخو، (2009)، ص. 476).

4. ولزيادة نسبة المسلمين في منطقة البلقان ذات الغالبية النصرانية، حيث بلغ عدد السكان في منطقة الروميلي نحو خمسة عشر مليون نسمة، وكان اثنا عشر مليون منهم من اتباع الديانة النصرانية، والتي بدأت شعوبها بالتمرد ضد الدولة العثمانية، وكان ذلك بتحريض من بعض الدول الاوربية، ولاسيما روسيا التي كانت تسعى لأضعاف الدولة العثمانية عبر اثارة المشاكل الداخلية في اقاليمها (Polat،(2019) ، P. 34-35).

الخاتمة:

1. اضفى الموقع الجغرافي لإقليم القوقاز أهمية استراتيجية على المنطقة، الامر الذي جعلها مسرحاً للصراع بين القوى الاقليمية والدولية، وهو ما انعكس على الشراكسة، الذين تعرضوا للحروب والتهجير عبر مراحل تاريخية متعاقبة.

2. اسهمت سياسة الدولة العثمانية في توطين الشراكسة في بلاد الشام في انتقالهم من مرحلة الصراع والتهجير إلى مرحلة الاستقرار، إذ استهدفت اعادة اعمار المناطق قليلة السكان، وتعزيز الأمن، حيث أسهم الشراكسة في استقرار واعمار عدد من المناطق، ولاسيما عمان وناعور وجرش، فتحولت تدريجياً إلى مراكز عمرانية مزدهرة بعد ان كانت قليلة السكان أو مهجورة.

3. نجح الشراكسة في الاندماج بالمجتمع الأردني، وأصبحوا جزءاً فاعلاً من نسيجه الاجتماعي مع الحفاظ على استمرارية وجودهم القومي بعد تهجيرهم من موطنهم الأصلي، وأسهموا في مختلف جوانب الحياة العامة، واتاحت لهم اعادة بناء مجتمعهم في بيئة مستقرة.

4. يعيش الشركس في الأردن بأمان وسلام متهادين مع المجتمع والدولة، وأصبحوا من ضمن النسيج الاجتماعي، وبذلك صار الشركس قومية محترمه ومحبوبة من الجميع، فهم لم يتعرضوا للتمييز في المنطقة.

5. شارك الشراكسة في بناء الدولة الأردنية من خلال تقلدهم مناصب سياسية وادارية مهمة، ومن أبرزها رئاسة الوزراء التي شغلها سعيد المفتي، كما أنهم لم يتأخروا عن المساهمات الخيرية، ولاسيما دعم انشاء المساجد والمدارس بالتبرعات والاوقاف.

قائمة المصادر:

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1999)، لسان العرب، ط4 ، دار احياء التراث العربي، بيروت.

ابو الخير، محمد ناصر اسماعيل، (2022)، نزوح مسلمي الامبراطورية الروسية خارج القوقاز بعد الحرب التركية الروسية 1877 ، مجلة الدراسات التاريخية والاثرية، المجلد 2 ، العدد 1.

ابو دية، ايوب عيسى، (2024)، الشراكسة مسيرة نضال، عمان.

ادلة موثقة، وثائق الابادة الجماعية الشركسية من الارشيف الروسي، وثائق منشورة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وعلى الرابط التالي:

http://www.circassian-gonocide.com

ارصوي و قاماجي، خيري وايصون، (2006)، تاريخ الشراكسة (الأباضية)، ترجمة: فؤاد احمد كامل، القاهرة.

ازوقه، محمد، (2010)، القضية الشركسية، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع، الاردن.

اسحاقات، القضاة، دانا عز الدين سليم، محمد امين حامد، (2025)، تصور تربوي مقترح للمؤسسات الشركسية في الأردن للمحافظة على الثقافة الشركسية، مجلة مؤتة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40 ، العدد 4.

انطونيوس، جورج، (1966)، يقظة العرب، تاريخ حرب العرب القومية، ترجمة: ناصر الدين الاسدي واحسان عباس، ط2 ، دار العلم للملايين، بيروت.

بركات، سمر وهيب داخل، (2015) ، سعيد المفتي سيرته ودوره السياسي في الاردن 1898-1958 ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ي قار.

البعلبكي، منير، (1990)، موسوعة المورد العربية، المجلد 2 ، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.

الحوراني، محمد عبد الكريم، (2015) ، اعادة انتاج الهوية الاثنية في المجتمع الاردني، المجلة الاردنية للعلوم الاجتماعية ، 8(3).

دحلان، احمد بن زيني، (1981)، امراء البلد الحرام منذ اولهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي، ط2 ، الدار المتحدة للنشر والتوزيع، بيروت.

الزركلي، خير الدين، (2002) ، ج2 ، ط15 ، دار العلم، بيروت.

زعيتر، احمد، (2022)، اتفاقية سايكس بيكو 1916م، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة زيان عاشور – الجلفة.

سمكوا ، برزج امين ، (1984) ، مدخل إلى تاريخ الشراكسة ، دار دمشق للطباعة والنشر ، عمان.

سمكوغ ، برزج أمين ، (1995) ، الشركس فجر التاريخ ، دار علاء الدين للطباعة والنشر ، دمشق.

صعب ، سعاد محمد سعيد ، (2011) ، الشراكسة في الوطن العربي بين الحفاظ على الهوية القومية والاندماج الحقيقي (1864–2010) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القدس ، فلسطين.

صفوه ، نجدة فتحي ، (2017) ، هذا اليوم في التاريخ ، المجلد 3 ، دار الساقي ، بيروت.

عادل ، ميلودي ، (2024) ، الاندماج الاجتماعي : مفهوم سوسيولوجي متعدد الابعاد ، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية ، المجلد 12 ، العدد 2 ، الجزائر.

عبد الحكيم ، منصور ، (2010) ، السلطان عبد الحميد الثاني المفترى عليه اخر السلاطين المحترمين ، دمشق.

العبودي ، محمد بن ناصر ، (1999) ، بلاد الشركس (الإديغي) ، الرياض.

العبيدي ، ميادة احمد جميل ، (2023) ، تهجير الشركس واعادة توطينهم في الدولة العثمانية 1878–1909م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل.

العرقان ، عبد الله راشد ، (2019) ، النظام السياسي الاردني ، دار الخليج للنشر والتوزيع ، عمان.

غرايبة ، خليف مصطفى ، (2005) ، التربية الوطنية في الأردن ، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع ، الاردن.

قابلو ، جباغ ، (2006) ، قوزاق ، الموسوعة العربية ، المجلد 15 ، دمشق.

القريشي ، محمد يوسف إبراهيم ، (2005) ، ونستون تشرشل ودوره في السياسة البريطانية حتى عام 1945 ، أطروحة دكتوراه غير منشوره ، جامعة بغداد ، كلية الآداب.

ناتخو ، قادر اسحاق ، (2009) ، التاريخ الشركسي ، ترجمة : محمد ازوقه ، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع ، عمان.

مامسر ، محمد خير ، (2009) ، الموسوعة التاريخية للامة الشركسية : الاديغة ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان.

محمد، احمد صالح علي، (2019)، الحروب العمانية – الروسية من بداية القرن 19م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (1806–1918) ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل ، العدد 42.

المفتي، شوكت المفتي ، (1962)، اباطرة وابطال في تاريخ القوقاز، فلسطين.

مهدي، محمد عبد الستار عبد الكريم م. (2024). سياسة الاحتواء البريطانية في مصر 1914–1936. مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، 20(3)

https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.567

موسى، سليمان، (1985)، عمان عاصمة الاردن، دار الشعب، عمان.

ناشخو ، جودت حلمي صالح ، (1995) ، تاريخ الشركس والشيشان في لواءي حوران والبلقان من عام (1878–1920) ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الدراسات العليا ، الجامعة الاردنية ، عمان.

وردم ، محمد علي ، (2014) ، تحولات المجتمع الشركسي ، الاردن.

المصري ، حسين مجيب ، (1987) ، معجم الدولة العثمانية ، القاهرة.

Encyclopedia Britannia C.D. ROM Copyright , 2009.

Howard , N. Harry , (1971) , Turkey , the Starts and Us Policy , New York.

Kumykov , T. Kh , (2001) , Problems of the Caucasian War and the Eviction of the Circassians within the Ottoman Empire (20-70s of the 19th century) Collection of Archival Documents , Nalchik , Part 1.

Polat , Habibe , (2019) , Ottoman Empire's Settlement of Aleppo and Civarina Circassians (1856-1914) , Doctoral Thesis , Inonu University , Institute of Social Sciences , Malatya.

Shami , Seteney , (1994) , Displacement, Historical Memory and Identity: The Circassians in Jordan , Center for Migration Studies , Vol. 11 , No. 4.

Temizkan , Abdullah , (2009) , North Caucasus Muridism , Diffusion Strategy of Muridism and Relation with Feodal Lods , Journal of Turkish World Studies , Vol. 9 , No. 2.